بذار الكلمة الالهية الصالح ثمارًا وافرة تُجمع في الاهراء السماوية

«استجب يا رب هذه الصلاة التي تلهمنا اياها رغبتنا في ان نرى ملكوتك يمتد ويتسع

«وبما انَّ هذه الطلبة «ليأت ملكوتك» تتصاعد كل يوم من قلوبنا اكثر مما تلفظها افواهنا امنحنا القوة والثبات في القصد الذي نقدمه لك وهو ان نسعى باحسن طريقة ممكنة وبقدر ما تسمح لنا قدرتنا في مساعدة عمل انتشار الايمان المقدس آمين

الرأي العام في عثرات الاقلام

بقلم جناب الشيخ امين الجميّل

سيّدي الشيخ الاستاذ (١

قرأتُ بسرور كتابك اليّ بشأن مباحثك اللغويّة تحت عنوان «عثرات الاقلام» (٢ فسألتني عن رأيي في ما كتبتهُ. فرأيتُ في سؤال مثلك لمثلي شبهاً لما يُذكر عن الوالي الشهير الشاعر موليار اذ كان يسأل أَمَتهُ رأيها عن بعض مصنَّفاتهِ وعن وقْع اقوالهِ في أذنها

اعلم أيها العزيز انَّ «مواطنك» يفتخر بك اذ يراك عاملًا في اللغة عملَهُ في الطبّ فتنادي بالوقاية قياماً بالواجب تاركاً لغيرك ان يقوم بواجبهِ. فيقيّن بأنَّ اصلاح كلّ غلطةٍ تشير اليها يوليك علينا منَّةً جديدة

وما احقّ بصحافتنا ان تعتاد الكلام الفصيح والقول الصحيح وتنبذ كلّ وطانة

١) ابرجم منذر من شيوخ بكفيا ٢) نشرها في جريدة الوطن

وركاكة . فلعمري انَّ خطأ الناطقين بالضاد لقد بلغ مبلغاً كاد يكون كفراً . فقد قرأنا في بعض المطبوعات قول السيد المسيح على الصليب بهذه الصورة «وأبتاه اغفر لهم» كأنهُ يندب اباهُ وانما يريد فقط مناداة ابيهِ «يا ابتِ» . وكم سمعنا خادماً في القداس يقول في الصلاة الربيَّة : « لا يأتِ ملكوتك . لا تكن مشيتك » فيبدل الدعاء بالنهي

على اننا مع حرصنا على كرامة اللغة وفصاحتها ربَّما رأينا تجاوزاً في الحدود ومضايقةً على حاملي الاقلام . تمدَّد الكتَّاب من الحريري الى جهابذة لغتنا العصريين اليازجي وشقير والبستاني والشرتونيَّين وعطيَّة وعبد الاحد ورجَّي والمغربيّ وغيرهم ممَّن أشهروا السلاح دفاعاً عن لغتهم . لكنَّ هذه اللغة واحسرتاهُ كادت تُخنَق وتُقتل لشدَّة عطفهم وحنانهم عليها . فمن ذا الذي يقرأ انتقادهم المرَّ الشديد لأشهر الكتَّاب وانفس الكتب وألطف الالفاظ واشيعها ومعارضة بعضهم لبعض ولا يصرخ هاتفاً : « لا كانت لغةٌ لا يكاد يحكيها دماغُ سيبويه وتجرُّد اليازجيّ ومكتبة شيخو ومقدرة البستاني

إذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطرُ !»

فيا قومنا نرى من الكتبة يميلون الى التعصُّب والتشبُّث بالعتيق ولم نسمع للتساهل صوتاً ولا للتفنُّن صدًى . حكَّموا في مسئلتنا التقليدَ والهجور فتصدَّى لهم النافرُ والمأنوس ولم يقم احد من علمائنا يمدُّ للفريق يداً يناشلهُ من هذا البحر العميق بل توالت عليهِ اللجج فطمرتهُ . منها وفرة الالفاظ وتعدُّد المترادفات لغير جدوى ولا نفع مما يصدق فيهِ قول ذاك الاعرابيّ عن هرٍّ : « ما اكثر اسمائهُ واقلَّ نفعهُ » . وزد عليهِ تشعُّب القواعد الصرفيَّة والنحويَّة وكثرة الشواذّ بحيث ينبغي علينا ان نصرف او بالحري ان نفقد ونقتل وقتاً ثميناً حقُّهُ ان يُصرف في احراز العلوم العالية والدروس الضروريَّة للرقيّ العقليّ ولوازم الصلات التجاريَّة والنهضة العصريَّة فرفقاً بنا يا علماءنا لا تكونوا كفنيّ لا يتصوَّر الفقر ولا وجود الفقراء او كمشيّق مالٍ يظلُّ ابداً قلق الخاطر

انتم يا سادتي الاساتذة اعرفُ الناس بلوائح المدارس الحاليَّة الموجبة على الطالب معرفة الفرنساويَّة والانكليزيَّة والحساب والجغرافية والتاريخ والعلوم بأنواعها من طبيعيَّات وكيمياء ورياضيَّات وفلكيَّات ونباتات الخ فهل تريدون فوق ذلك ان فبلغ في معرفة العربيَّة مبلغ الامام الحريريّ او علَّامتنا البستاني ؟ أفلا تُضحي اللغة اذ ذاك

غايةً لا واسطة ؟ كما شعر بهذا الخطر الخطير الفيلسوف ابن خلدون في عصره فقال في مقدمته «... الظاهر انَّ المتعلم ولو قطع عمرهُ في هذا كلهِ فلا يفي لهُ بتحصيل علم العربيَّة مثلًا الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة . لكنَّ الله يهدي من يشاء » (ص ٥٣٢ من الطبعة المشكَّلة)

مسكين ولد اليوم يُطلب منهُ املاء ذهنهِ من جميع ما تقدَّم بخمس او سبع سنين مع انَّ الشرات لا تكفي للقم منها ما لم نصرف ريموند او جوزف (هذا اسم يوسف المستحدث) او فريدًا عن الحساب واصول النسبة والكسور العشريَّة والدارجة والطريقة المتريَّة وتواميس الكهرباء والمحرّكات البخاريَّة والعلوم العمليَّة حتى نحشو دماغهُ بثبات من الالفاظ التي قالها العرب في الابل والاسد والخمر والسيف والداهية، مما لا يتحرَّك لنا به لسان (الشيخ ابرهيم)» والولد بخمسانة لفظة يقدر ان يتكلَّم بالالمانيَّة او الانكليزيَّة

وما لي اقول الولد او التلميذ ولا اقول التاجر والصانع والطبيب . وأنَّى لنا الوقت الفسيح للاحاطة بهذه الاوضاع والاحتفاظ بها ونحن مدفوعون الى العمل لا بعدو الابل لكنَّ بصفير البخار واهتزاز الكهرباء والجهاد في سبيل البقاء . انَّ ناموس الزمان والمكان يصرع من يحاول نقضهُ . لقد مضى ولن يعود الزمن الذي كان ممكنًا فيهِ ضبط دقائق اللغة والانتصار للكوفيين على البصريين ومشاكل الحروف والحركات ثمَّ أشكال عرش «جلالة الملكة المبزة» وقد قال فيها شيخنا اليازجي نفسهُ : «قد مات علماؤنا ولم يفرغوا من تحرير رسمها» فهذا يكتب رآسة وذاك رئاسة والآخر رياسة وهلم جرًّا

أما كفت لغتنا مصائبها بأننا نتكلَّم باللهجة العاميَّة ونكتب الفصيحة ونخطّ بلا شكل ولا فواصل كأننا نسطّر الاحاجي والاختزال بالذات . قال احد كبارنا : «بغير لغات نقرأ لنفهم وأما بالعربيَّة فيجب ان نفهم لنستطيع ان نقرأ فخذ اي لفظة شئت مركَّبة من ثلثة احرف سالمة يمكنك ان تقرأها على نحو ثلثين صورة على مقتضى الحال . وقد قرأتُ آخرًا للهمام جرجي افندي باز كاتم اسرار المجمع العلمي الشرقي عنوان خطاب «ما لي جلد» فطار بالي الى صديقي اللطيف الشهير واشفقتُ عليهِ لما تصوَّرتهُ من ألم السلخ اذ قرأتُ لاوَّل وهلة «لا جلد لي» الى ان اطمئنَّ بالي

لما ادركت انهُ اراد « لا جَلَد لي » . وكم يخلطُ القرّاء بين الحِمام والحُمام وعلمٌ جرًّا

انّ اللغات الحيّة تعمد كلّ يوم الى تحطيم قيودها ونحن نزيد لبتنا تكبيلًا وتشديدًا. بالامس قضت الاكادمية الفرنسويّة تأييدًا لرأي الكتبة على شذوذ الجمع في بعض الالفاظ من نحو genou, hibou, فألحقتها بالقاعدة العموميّة وحذفت مشاكل خط الوصل (trait d'union) بل محته من اصله وسهّلت قواعد لسمّي الفاعل والمفعول وحكمت بكتابة الفاظ عديدة وفقًا لاصلها . ونحن لم نزل نكتب حيوة وصلوة ومائة مع لفظنا اياها « حياة وصلاة ومئة » . تراهم يُدخلون في معاجمهم الالفاظ الجديدة المستعارة وينبذون ما أهمل لستعمالهُ ونحن لا يُجاز لنا ان نستخدم لفظة « قاش » مع كونها اللفظة الوحيدة التي نعبّر بها عن الانسجة بانواعها . ومثلها « الصُّدفة » بمعنى الاتّفاق والمصادفة . و« صَرَف » بمعنى انفق . و« المكتوب » للرسالة . فهذا التقييد سوسةٌ تقرض جسم اللغة وتعدل بنا الى لغة معدودة المباني قليلة القواعد خالية من الشواذّ كاللغة الدوليّة المعروفة بالاسپرنتو وربّما تكون لغة المستقبل

انّ التمسّك بالقديم حسن لكنّ للجديد ايضًا حقوقًا يجب مراعاتها . ولِمَ لا يكونُ كذلك أفأتْ نزلت اللغة وحيًا على البدويّ . وكم تختلف لغات اهل البادية في عهدنا . او ليس لمثل هذه الطوارئ اضطُرّت بعض اللغات كاللاتينيّة واليونانيّة والارمنيّة ان تكتسي صورة جديدة فنرى اليوم اللغتين الحديثتين اليونانيّة والارمنيّة . ومن اللاتينيّة اشتقّت اللغات الفرنسويّة والايطاليّة والاسبانيّة وكلُّها بنات اللاتينيّة

هيهات ان تنسى ما للعربيّة من الحسنات العديدة منها لفظ كلّ حروفها المكتوبة واذا شُكلت الحروف كان اللفظ ابدًا على صورة واحدة فيجيد الطالب قراءة العربيّة بزمن قصير على خلاف الانكليزيّة والفرنسويّة وفيهما ما فيهما من مشاكل القراءة . ومنها تميزنا السهل بين المؤنث والمذكّر في الاسماء وهو احدى عقبات اللغة الفرنسويّة . وما أجمل وادلّ اوزان افعالنا المزيدة كفعّل وأفعل وفاعل مع سهولة تصريف هذه المزيدات على مثال المجرّد واطّراد القاعدة فيها . وما أوجز وألطفه وزن أفعل التفضيل فكما انّ اللاتينيّة تؤدي هذا المعنى بصيغة معلومة وقياس ثابت فكذلك لا تحتاج العربيّة الى لفظتين . وترى لقدماء الكتبة في هذا الباب منعة نظر لا تنطبق على ما يسمح بهِ ارباب النحو . ومن ثمّ لا نرى بأسًا في استعمال بعض

الكتبة «أنسب وأرفق» وامثالها فضلاً عن انّ الغلط المألوف خير من الصواب المهجور وعلامَ لا يتوسّع اساتذتنا في الجمع السالم ما امكن. أفلس «كزيون وجريحون وبائسون وحاجات» حسنة التركيب مثل كرماء وجرحى وبؤساء (ولا وجه لبؤساء في اللغة) وحاج وحوائج. فليُطلَق على المذكّر ما اطلقوهُ على المؤنّث لأنّهم اجازوا استعمال المؤنث السالم على ما لم يوضع لهُ جمع. وقد سمعتُ بالامس ولدًا صغيرًا يأتي بالجموع كلها على هذه الصورة فقلت: يا ليت فعل مثل ذلك سيبويه ونفطويه!

وما قولنا بجمع الاناث في الافعال وما لا يجري على لسان من صيغتهِ حتّى يأنف من استعمالهِ لخشونتهِ لشدّ الناس تهيُّباً للغة ومثلهُ المثنّى في بعض الاحوال. أفلا يأتي زمنٌ يحلّنا من قيودها الثقيلة كما يجري عليهِ العامّة

وكان الاحرى باللغويين ان يتّفقوا على ازالة ما في بعض التراكيب العربيّة من الالتباس كما عدّد ذلك اليًا مطران نصيبين في احد مجالسهِ التي نشرها الشرق مؤخّرًا. وكم في كلام العرب من الالتباس في استعمال الضمائر يمكنك مثلاً ان تميّز في هذه العبارة «دخل ابو نواس على هارون الرشيد فقال لهُ: أيها القائل أهارون او ابو نوّاس. ومثل هذا كثير في كتب العرب

وعلى رأيي انهُ من الواجب التقليل من الشواذّ ما امكن فنقول مثلاً: «الواجبات الإبنيّة والصنائع اليديّة» بدلاً من البنويّة واليدويّة

وما يضرُّ لغتنا استعمال الناظر جرت اليوم على السنة العموم مع حسن مدلولها كالتشحات والحربة والشمسيّة فبدلها بالفاظ غريبة قضى بازجيتها بتسميتها «النسج المصلتة والشاري والطلة»!

وكم كنّا نودّ لو اتّفق اللغويّون العصريّون على وضع اصطلاحات قريبة المنال لتأدية معانٍ جديدة او اختراعات حديثة بدلاً من أن يتسموا بتعداد المرادفات فتقتصر على استعمال «الشهر الماضي» دون المنصرم والدابر والمنسلخ والغابر. ولا خوف على اللغة لو آنسها بعض الدخيل «كالليرة والفرنك والكالوش والتلفون والتبغ» ولنا أسوة في القدماء الذين قالوا «الدينار والدرهم والقميص والافيون والتيفتج والفلسفة والكنيسة والموسيقى وجهنّم» ولا يأنف الفرنج ان يأخذوا من لغتنا الفاظاً عديدة كمخزن (magasin) وتعريفة (tarif) وجبر (algèbre) وصقر (sacre) وغزو

(razia) ومولّد (mulâtre) وسَمْت (zenith) . فايُّ عجب لو استعرنا من لغاتهم الفاظاً لا نجد لها شبيهاً في لغتنا

على انّ العجب العجاب في ذلك ان نعمد الى الفاظ نقلوها من لغتنا الى لغتهم مع تغيير صورتها فننسى اصلها ونأخذها منهم مصحّفةً كقولنا موسلين تعريب (mousseline) وهي من اسم « الموصلي » لنسيج معروف اصلهُ من الموصل . وما لنا وللدفتيريا والدوسنطاريا وعندنا ما هو اقدم وادلّ اي الخُناق والزُّحار

وقد عرف كتبة العرب استعمال «لا» النفي فضمّوها الى الاسماء وقالوا اللاشي واللاأدريّة أفنتجاوز طورنا لو قلنا على مثالهم « اللاسلكي واللانهاية واللامتناهة » . واي مانع يمنعنا من استعمال صيغ قديمة لمعانٍ حديثة كاستعمال القهويّة (caféine) والكينيّة (quinine) لجوهر القهوة والكينا كما يعبّر الفرنج عن ذلك باضافة (ine)

وما احوجنا بالتوسّع في نحت الالفاظ كما فعل القدماء فقالوا « الحمدلة والبسملة والحَبْقَرَة » أفنأثم لو قلنا « قَدَم » اي فقر الدّم والانيميا كما شاع اليوم . والانكليز والفرنسيس ربّما اختصروا عدّة الفاظ واكتفوا بحروفها فيقولون TLSF بدلاً من Télégraphie sans fil وPLM اي خط باريس وليون والبحر المتوسط . وبعض اقوال العامّة تُشعر بهذا الاختزال فيقولون «هلّق» اي هذا الوقت و«إسّه» اي هذه الساعة

بارك الله في يوم يقولون لاولادنا انْ « مِلح وطريق وحمّام و . . . و . . . » من المذكّر لا من المخنّث . وبساعة يقرُّ بها رأي ائمّة اللغة على كتابة الهمزة بشكل واحد مع كلّ حركاتها أ أ إ فتستريح المطابع وادوات الكتابة من همها . لعمري لقد ثُلّث العروش والتي الزقّ فعلامَ الخضوع لهذا الاسترقاق

فعسى ان يقوم بيننا افراد او جماعة يحملون على هذه التقييدات والتقعيرات كاللام الجرّيّة وما الزائدة في قولهم « لغير ما علّة » واللام الزائدة ويجعلون نصيبها نصيب الزائدة الدوديّة التي يقطعها الجرّاح حيثما يصادفها . ومن ابى الّا الاحتفاظ على القديم المُلمّات فليضمّهُ مع النوادر اللغويّة وشوارد اللسان والنزر في الشعر في خزانة مع اساطير الاوّلين او يودعها في المتاحف مع ارراق البرديّ المصريّة واجسامهم المحنّطة

عجّلوا بالدواء يا سادتي قبل تفاقم الداء . وأملي فيك يا سيّدي الشيخ ان تكون مع مجمع علميّ في مقدّمة هذه النهضة اللغويّة الجديدة . حقّق الله بك امانينا